النص والمفاد في الفضاء الافتراضي، رؤية قرآنية

سيّد عيسى مسترحمي[1]
حميدة هادي به[2]

الفضاء السيبراني هو مساحةٌ يتمُّ فيها التواصل عبر شبكة الويب العالميّة، وتتضمّن هذه المساحة مجموعةً متنوّعةً من الشبكات الداخليّة والخارجيّة مثل الفيسبوك (Facebook)، ووي تشات (WeChat)، والتلغرام (Telegram)، والواتساب (WhatsApp)، وفايبر (Viber)، وإيتا (EITAA)، وسروش (Soroush) وما إلى ذلك، ومن الأسباب المهمّة لاستخدام الفضاء السيبراني هو الرغبة الغريزيّة البشريّة في التحدّث والتواصل مع الآخرين، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإنّ توسيع مدى التعامل وتبادل الآراء بسرعة عالية في الفضاء السيبراني قد جعل من الممكن كسر الحدود الزمنيّة والمكانيّة حتى يتمكن الناس من التحدّث وتبادل الآراء والأفكار بسهولة بعضهم مع بعض. وقد أثّر استخدام العالم الافتراضيّ بشكلٍ كبيرٍ في شؤون الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، والذي يكون له أحيانًا تأثير أكبر من العالم الحقيقيّ؛ فإنّ المعرفة المناسبة والتوعية العامّة توفّر أرضية

١. أستاذ الحوزة العلمية في قم: dr.mostarhami@chmail.ir.
١. متخرجة من المستوى الثالث في مركز الإدارة لحوزة الأخوات العلميّة: hamidehhadibeh1358@gmail.com

للاستخدام المناسب لهذا الفضاء، كما يمكن من خلال مراعاة قواعد ومتطلّبات الحوار في العالم الافتراضيّ، تحويل التهديدات إلى فرص والقضاء على المخاطر المدمّرة لهذا الفضاء، وإنّ التواصل الفعّال والتفاهم المتبادل بحاجة إلى الامتثال للقواعد والضوابط.

وأمّا عمليّة التواصل، فهي تتكوّن من ثلاثة عناصر رئيسة: (الرسالة) و(المرسل) و(المستقبل). وتُظهر دراسة وصفيّة تحليليّة لآيات القرآن الكريم أنّ كتابَ الهداية هذا، قد وضع معايير لكلّ من هذه الأركان؛ حيث يعتبر هذا الكتاب السماوي – مراعاة لمبدأ العلم والوعي، والصدق، والعفة، والأدب، والجمال، والاعتماد على مصدر الفكر والمعرفة – من المتطلّبات المتعلّقة بالرسالة التي يجب أن يلتزم بها مرسلها.

المفردات الرئيسة: القرآن الكريم، قواعد المحادثة، الفضاء السيبراني، الشبكات الاجتماعيّة، الرسائل في الفضاء السيبراني.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المقدّمة

إنّ من معطيات الفضاء الافتراضي هي إمكانية الدردشة والمحادثة، وعلى الرغم من أنّ هناك مسافات وأميالًا بعيدة بين الأشخاص من الناحية الجغرافية، إلّا أنّ هذه المسافات تزول في الفضاء الافتراضي؛ حيث يتمكنون من رؤية بعضهم البعض، أو المراسلة والمحادثة عبر الفضاء الإلكتروني. ومن جملة إمكانيات هذا الفضاء هي تنظيم اللقاءات العلميّة والإدارية وإقامة الدروس والمحادثات الودّية.

تعتبر المحاورة بين الأصحاب من أخلاق أهل الجنة، كما جاء في القرآن: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾[١] أي: يتكئ أصحاب الجنة على الأرائك مقابل بعضهم البعض، ويقيمون حفلة أنس ويستمتعون بالمحادثة وجهًا لوجه[٢]. وهكذا ورد في الروايات: «**النطق راحة الروح**»[٣]؛ فإن الحوار تسكين للروح، وتبادل أطراف الحديث مع الغير – خاصّة وجهًا لوجه – يجلب السكون.

إن الإنسان مليء بالأفكار والمشاعر والمعتقدات مترسخة في وجوده، والكلام جسر بين الأسرار الداخليّة والعالم الخارجي، تنكشف من خلاله الطبيعة الخفية للإنسان، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**المرء مخبوء تحت لسانه**»[٤].

والمحادثة هي في الواقع طريق ذو اتّجاهين يتبادل عبره الناس أفكارهم وأحاسيسهم وآراءهم، ذلك من خلال الرسائل التي تحمل معاني متشابهة لكلا الطرفين. وبالطبع تجدر الإشارة إلى أنّ التواصل في الفضاء الافتراضي إمّا لفظيٌّ، وإمّا غير لفظيّ:

الاتّصال اللفظيّ: في هذا النوع من الاتّصال، تنتقل عبره المعلومات والأفكار من

---

١. الواقعة: ١٦.

٢. ناصر، مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ١٣٧٤: ٢١١/٢٣.

٣. ابن بابوية الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١٤١٣: ح١٤٨.

٤. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١٤١٤: ح١٤٨.

خلال اللغة والكلام، سواء في شكل محادثة منطوقة أم كتابية.

الاتّصال غير اللفظيّ: وهو اتّصال لا تنتقل فيه المفاهيم والمعاني من خلال اللغة والكلام بين الأشخاص (كتبادل الصور، والرسوم، ومقاطع الفيديو أو حتى اختيار صورة الملف الشخصي).

وأساسًا هناك ثلاثة عناصر رئيسة في أيّ نمط اتّصال:

الأوّل: رسالة ذات محتوى ما تشكّل الاتصال بسببها.

الثاني: مرسِل الرسالة الذي يهدف إلى التواصل مع الآخرين بنية محددة.

الثالث: مخاطب ومستلم الرسالة. أمّا هذه المقالة فهي تتناول أهمّ المتطلبات القرآنيّة للرسالة المرسَلة في الفضاء الافتراضي.

خلفية البحث

لقد كُتبت آثار متعددة حول مبادئ وآداب الحوار من منظار القرآن والأحاديث (في الفضاء الحقيقي)، بما في ذلك "آداب گفتگو و مناظره از ديدگاه قرآن و روايات" لعلي أصغر رضواني؛ و" آداب گفتگو از ديدگاه قرآن و حديث" لجواد إيرواني؛ و"گويش قرآن پسند" للسيد أسدالله ياوري. وهناك العديد من الأعمال حول الفضاء الافتراضي وتحدّياته، مثل: "فضاي مجازي" للسيد محسن باك نهاد، و"خانواده مسلمان و فضاي مجازي" للسيد رضا العاملي، و"ظرفيت‌هاي فراروي جهان اسلام در فضاي مجازي" للدكتور علي مرشدي زاد. فليس هناك الكثير من المصادر حول آداب الحوار في الفضاء الافتراضي، بحيث لم يتم العثور إلّا على عدد قليل من المقالات، بما في ذلك "گفتگو در فضاي مجازي" لغفار بارسا، و"حوزه عمومي و گفتگو در شبكه هاي مجازي" لبهجت يزدخواستي، بيد أنّ الدراسات لم تعتمد على منهج قرآنيّ وروائيّ، وقد ورد في كتب التفسير مثل "تفسير الميزان"، "تفسير الأمثل"، و"تفسير التسنيم"،

و"تفسير مجمع البيان"، ذيل الآيات الواردة حول آداب الحوار والمحادثة مباحث مفيدة يمكن تطبيقها على الفضاء الافتراضي أيضًا.

الأول: المفاهيم

١. الرسالة

الرسالة هي خبر وإعلان يتمّ بيانه شفهيًّا أو كتابيًّا.[١]

وفي تعريف آخر، الرسالة هي مجموعة من الألفاظ واللغات والكلمات والحركات والأصوات والأشكال التي ينوي المرسل التعبير عنها أثناء بيان ما ينوي قوله.[٢]

قد تكون الرسالة لفظيّةً أو غير لفظيّةٍ، فالرسالة اللفظيّة هي نصٌّ أو حديثٌ، وتشمل الرسائل غير اللفظيّة إشارات وعلامات وصور تستخدم للتواصل، مثل الممرضة التي قد وضعت إصبعها على أنفها تطلب من الجميع مراعاة الصمت.

وهناك ثلاثة عوامل مؤثّرة في التواصل عبر الرسالة:

الأول: **رمز الرسالة**: مجموعة من الرموز تم إنشاؤها بطريقة ذات مغزى لبعض الأشخاص.

الثاني: **المحتوى**: المادة الموجودة داخل الرسالة التي يعبر عنها المصدر للتعبير عن مقصوده.

الثالث: **كيفية تقديم الرسالة**: القرارات التي يتّخذها المصدر والمرسل لاختيار وتعيين الكود والمحتوى.[٣]

الرسالة هي في الأساس جسر التواصل بين المتحدّث والمستمع. ولا تعتبر الرسالة

١. دهخدا، لغتنامه دهخدا، ١٣٧٧: ٥١٢٩/٤.

٢. زورق، ارتباطات و آگاهي، ١٣٨٨: ١٢٢.

٣. إسكندري، عوامل مؤثر در عناصر ارتباطي از ديدگاه قرآن كريم، ١٣٨٨: ١-٢٤.

مفيدة إلا إذا تتوافق مع الواقع وتتناسب مع حالة الأفراد، ويتمّ التعبير عنها بنوايا حسنة وقصد الخير، ومن أجل إقامة اتصال مناسب، يلزم على المتحاورين النظر في معايير الرسالة المؤثّرة ومراعاتها.

٢. الفضاء الافتراضي (السيبراني)

تمّ استعمال هذه المفردة لأوّل مرّة عام ١٩٨٤م، في رواية الخيال العلمي لوليام غيبسون (William Gibson)، وقد استخدم هذا المصطلح لوصف فضاء خيالي حيث يظهر فيه الكلمات، والعلاقات، والمعلومات، والثروة والقدرة من خلال التواصل عبر الحاسوب.[١]

وبشكل عامّ، اليوم كلّ ما يتعلّق بطريقة الحياة والتفكير المرتبطين بتكنولوجيا المعلومات الحديثة يوصف بصفة السيبراني، والفضاء الحاسوبي كمنشئ الفضاء الجغرافي الافتراضي، يسمّى الفضاء السيبراني أو الفضاء الافتراضي.[٢]

وتمّت ترجمة كلمة سايبر (cyber) باللغة الفارسيّة إلى «المجاز والمجازي»، لكن هذه الترجمة ليست واضحةً ودقيقةً؛ لأنّ البيئة الإلكترونية هي بيئةٌ حقيقيّةٌ وواقعيةٌ وليست كاذبةً ومجازيةً، كما أشار إليه آية الله جوادي الآملي بتعبير أدقّ، أنّ ما يُعرف اليوم بالفضاء المجازي هو في الأصل حقيقة؛ لأنّ المجاز يمكن إزالته، ولكن الحقيقة لا تزال؛[٣] لذا فإن الفضاء المجازي (السايبراني) هو في الأصل حقيقية ليس إلا.

٣. الإنترنت

الإنترنت تعني حرفيًّا الشبكة العنكبوتيّة العالميّة لتبادل المعلومات. والإنترنت نظامٌ

١. مجتهدي نجفي، درک شبکه هاي اجتماعي، ١٣٩٥: ٢٥.

٢. محسني، جامعه شناسي جامعه اطلاعاتي، ١٣٨٠.

٣. سياح طاهري ومجموعة من المؤلفين، الحقيقة المجازية، بدون تاريخ، ٣٣.

عالميٌّ مكوّنٌ من الشبكات الحاسوبية المترابطة التي تستخدم مجموعة بروتوكول عنكبوتيّة للتواصل بعضها مع بعض. وبعبارة أخرى، الإنترنت عبارة عن شبكة الشبكات التي مكوّنة من ملايين الشبكات العامّة والخاصّة والأكاديميّة والتجاريّة والحكوميّة، من الأبعاد المحليّة والصغيرة إلى العالميّة والكبيرة جدًّا، والتي تتصل ببعضها البعض من خلال مجموعة واسعة من صفائف التكنولوجيا الإلكترونية والضوئية، والإنترنت هو وسيلة الدخول إلى الفضاء الافتراضي (https://fa.m.wikipedia.org).

٤. الشبكات الاجتماعيّة

هي مجموعةٌ من الأفراد أو المنظمات المرتبطة بنوع محدّد أو أكثر من الانتماءات، مثل الأفكار والمبادلات المالية والأصدقاء والقرابة وروابط الويب ... إلخ. هناك ستة أنواع من الشبكات الاجتماعية في العالم اليوم[١]:

١. الشبكات الاجتماعيّة القائمة على النصوص، مثل: جوجل‌بلس (Google Plus) وفيس‌بوك (Facebook).

٢. الشبكات الاجتماعيّة القائمة على الأفلام، مثل: يوتيوب (YouTube) وآبارات (Aparat).

٣. الشبكات الاجتماعيّة القائمة على الصور، مثل: انستغرام (Instagram) وفليكر (Flickr).

٤. الشبكات الاجتماعيّة القائمة على الموضوع، مثل: لينكدين (LinkedIn) وداجاستر (Dagaster).

٥. الشبكات الاجتماعيّة القائمة على الجمهور، مثل: ني‌ني‌فيس (NiNi Face) التي تركز على الأطفال، وإمبرس (Empress) التي تركز على النساء.

١. المصدر نفسه: ٥٥-٥٦.

٦. الشبكات الاجتماعيّة القائمة على الخدمة، مثل: شبكات لأخذ مواعيد الطبيب، وشبكات دفع الفواتير.

الثاني: المتطلبات القرآنيّة للرسائل في الفضاء الإلكتروني

تظهر الدراسات القرآنية أنّ أهمّ المعايير المتعلّقة بالرسالة تتخلص في الآتي:

١. العلم والمعرفة

من المتطلبات المهمّة للرسالة احتواؤها على مضمون يرتكز على العلم والمعرفة، فالعلاقة بين الكلام والعلم علاقة متبادلة، فلا يجوز للمرء أن يقول شيئًا من دون علم ومعرفة، كما لا ينبغي له أن يقول شيئًا خلاف علمه ومعرفته، وقد عبّر القرآن الكريم عن أصحاب المعرفة بالعلماء،[١] والبصير،[٢] والأحياء.[٣]

وإنّ علم المتكلّم وإدراكه لموضوع الحوار يدفع المستمعين إلى سماع كلماته بناءً على كفاءته العلميّة والمعلوماتيّة وقبول مطالبه، وإلّا فلن يتمكن من بيان مقصوده للآخرين.

فيجب على الإنسان ألّا يتكلّم فيما لا يعلم، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾،[٤] أي: لا تتبع ما لا تعرفه (على مستوى الإيمان والقول والعمل)؛ لأنّ الأذن والعين والقلب كلّ منها سيكون موضع التساؤل.

فإنّ هذه الآية تعمّ كلّ قول أو فعل أو عزم لا يقوم على علم، وكأنّه تقول: لا تقل

١. الزمر: ٩.

٢. فاطر: ١٩.

٣. فاطر: ٢٢.

٤. الإسراء: ٣٦.

شيئًا سوى ما تعرفه حقًّا، ولا تفعل سوى ما تتيقن من صحته، ولا تعتقد بشيء سوى ما تؤمن بحقانيته.[١]

وليس من شكّ أنّ للقول عن علم ويقين أهميّة كبرى في الإسلام بحيث عدّ ذلك حقًّا من حقوق الله على العباد، «**عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام ما حقّ الله على العباد، قال: أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون**».[٢]

ولقد نهى كثير من روايات أهل البيت عليهم السلام عن القول بغير علم ولا معرفة؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إيّاك والكلام فيما لا تعرف طريقته ولا تعلم حقيقته؛ فإن قولك يدلّ على عقلك**».[٣]

ووفقاً لهذا التعبير النوراني، فإنّ التحدّث دون علم ومعرفة يظهر المتكلّم أنّه إنسان ضعيف العقل؛ لأنّ قول الإنسان يدل على عقله ويظهر مستوى فهمه، والكلام دون معرفة وعلم لا يتمتع بالإتقان الكافي، بل ينمّ عن ضعف عقل المتكلم.

فمن وجهة نظر القرآن الكريم والأئمة المعصومين عليهم السلام المعيار والمسوّغ الوحيد للقول هو العلم والمعرفة. والكلام المبني على الشكّ، والإشاعة، والاجتهاد، والحكم الأعمى لا اعتبار ولا قيمة له، وهو أمر مذموم ومكروه من وجهة نظر الشريعة.

فبالإضافة إلى ذلك، يجب أحيانًا على الناس الامتناع عن قول كلّ ما يعرفونه؛ لأنّ البوح ببعض الأقوال قد تتبعها أضرار دنيوية وأخروية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كلّ ما تعلم؛ فإنّ الله فرض على جوارحك كلّها فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة».[٤]

---

١. الطبرسي، ترجمة مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٣٦٠: ١٣٥/١٤.

٢. الكليني، أصول الكافي، ١٤٠٧: ٤٣/١، ح٧.

٣. التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ١٤١٠، ١٧٤، ح١٠٤.

٤. المصدر نفسه، ٥٤٤، ح٣٨٢.

إنّ مكانة العلم عند الله رفيعة جدًّا. ومن أسوأ الانتهاكات في كلّ مجال علميّ هو تغلغل كلام غير علميّ في حريم ذاك العلم؛ لأنّ العلم يعني النور، والبصيرة، والمعرفة، فعندما يُذكر كلام غير علميّ في موضوع علميّ، فهو في الواقع يحطّ من شأن العلم. وإنّ اقتران الفضاء الإلكتروني بالعديد من المواضيع والمباحث في مختلف المجالات ما يضاعف الحاجة إلى الاهتمام بهذه القضيّة.

ومن تحدّيات الفضاء الافتراضي دخول غير المتخصصين في مجالات تخصصية مختلفة، في حين أنّهم لا يمتلكون أدنى مستوى معرفي حول هذه القضايا، وهؤلاء في الحقيقة لا يبدون عن رأي علميّ، بل يسقطون القناع عن جهلهم أو يتظاهرون بالعلم، أو أنّهم يبحثون عن أهداف إستراتيجيّة معيّنة. فمن يشيع خبرًا بدون بحث وتحقيق عن صحّته أو كذبه، فهو مسؤول عنه؛ يقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.[١]

ويمتلك الفضاء الإلكتروني امتدادًا عالميًّا يشمل مختلف فروع العلوم، وإنّ الشرط لدخول مواضيع هذه العلوم هو العلم والمعرفة، ولضرورة هذا الموضوع نزودكم بمثال في فرع علم الحديث. فكان من الشروط اللازمة لنقل الحديث عبر التاريخ هو الإلمام بفقه الحديث والحصول على الإجازة. ومن ناحية أخرى، كان المؤمنون توّاقين دائمًا إلى نشر الأحاديث الشريفة للمعصومين عليهم السلام؛ إذ قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**بلّغوا عنّي ولو آيةً**».[٢] وقال أيضًا: «**وحدّثوا عنّي ولا حرجَ**»، أي: اروا أحاديثي، فلا إشكال فيها، ولكن حذارِ، أن تنشروا غير الحقّ، ثمّ قال: «**ومن كذب متعمدًا عليَّ فليتبوأ مقعده من النار**».[٣]

---

١. الحجرات:٦.

٢. المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ١٤٠٤: ١٤٤/٥.

٣. المجلسي، بحار الأنوار، ١٤٠٣: ١٤٥/٣٠.

إنّ ترويج الأحاديث من أجل نشر الدين لَأَمرٌ حسنٌ، لكن الشرط الضروريّ هو أن يكون للروايات مضامين واضحة ومحدّدة وقائمة على مصادر موثوقة. فلا شكّ أنّ نشر الأحاديث التي ليس لها مصدر موثوق أمرٌ ممنوعٌ، ويحمّل مسؤوليات دينية خطيرة على الأشخاص.

وهناك لنشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة وغير الموثّقة مخاطر ومضارّ؛ منها أنّها يمكن أن تسبّب التشاؤم، وتخلق نوعًا من التساهل الديني، وكذلك من تحدّيات نقل الحديث التقطيع غير الصحيح والتحريف والضعف في السند؛ لذا يجب ذكر سند الحديث عند نقله، بحيث يتحوّل هذا الأمر إلى ثقافة بين أفراد المجتمع.

كما يجب في الشبكات الاجتماعيّة والفضاء الإلكتروني، التأكّد من صحّة المحتوى العلمي ودقّته من حيث الوثاقة وغيرها، ما إذا كان مصدر المحتوى موثقًا أم لا، وحتى إذا كانت هناك إرجاعات في هامش المقالة، فلا بدّ من مراجعة المصدر الأصلي لضمان صحّة المطالب وعدم تحريفها، وبالتالي الاعتماد عليها كمحتوى علمي موثوق.

إنَّ الحث على التربية الإعلاميّة بالإضافة إلى العلم والمعرفة لدي الناس، لهو من المقتضيات الأخرى لاستخدام الشبكات الاجتماعية والفضاء الافتراضي. والتربية الإعلاميّة (Media Literacy) هي مجموعة من المهارات القابلة للتعلّم؛ حيث تشير إلى القدرة على التحليل والتوصّل وتكوين مجموعة متنوّعة من الرسائل الإعلاميّة، وهي مهارةٌ ضروريّةٌ لاستخدام الفضاء الإلكتروني (https://graphteam.ir).

٢. الرفق والليونة

ومن السمات والقيم الإيجابيّة الأخرى في الكلام هي المرونة والرفق والليونة في التعامل مع الآخرين، مما يوفّر أرضية للتكيّف و إيجاد المحبّة.

«تستخدم الرفق والليونة في الكلام في مقابل الحدة والعنف. فهاتان الصفتان المتضادتان لهما جانبان: الأوّل هو الجانب النفسي العميق الذي يؤثّر في الجودة المعنويّة

للكلام واختيار الجمل وطريقة التعامل مع المستمع. وأما الثاني فهو الجانب الشكلي للكلام الذي يؤثّر على نبرة الصوت وانخفاض الصوت وارتفاعه.[١]

ولما أراد موسى وهارون الانطلاق لدعوة فرعون إلى الله، أمرهم الله بالتحدّث مع فرعون برفق ولين أرادا التأثير في قلبه القاسي؛ حيث قال عزّ وجلّ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.[٢]

يتواصل الناس بتفاعل على وسائل التواصل الاجتماعي بعضهم مع بعض باستمرار. فمن الواضح أنّ الناس يدخلون في نقاشات جماعية ويتبادلون الأفكار بعضهم مع بعض، ولكن في بعض الأحيان إنّ شرارة النقاش الحارّة توقد نارًا في الفضاء الإلكتروني، بحيث لا يمكن إطفاء ألسنة اللهب لفترةٍ طويلةٍ والنتيجة هي العداوة والبغضاء بين الناس في المجتمع، ولكي لا يؤدّي النقاش إلى التوتر والنزاع، تجب مراعاة أنسب مقام ومقال للمحادثة، وكذلك للاتّجاه الإيجابيّ والسلوك المنطقيّ دور في توفير الأرضية لسماع الرأي المقابل وتقليل التوتر الناجم عن الخلاف من خلال خلق جو من التعاطف.

وفي بعض الأحيان يصرّ أحد الطرفين على فرض معتقداته. وفي الواقع أنّ الاختلاف في الأذواق والعقائد قد تؤدّي إلى نقاشات طويلة، و ينصح الإسلام حينئذ التأكّد من صوابية الرأي حتي لو كان الإنسان متأكّدًا من صحّته، فعليه ألّا يحاول فرض عقيدته ويتجنّب الجدال والمراء غير المجدي، وقد اعتبر رسول اللهﷺ الجدال فاقد الخير حتى لو كان الشخص محقًّا، واعتبر ترك هذه الصفة علامة على الخشوع والورع، فقال: «**أورع الناس من ترك المراء**»،[٣] أي ترك الجدال ولو كان على حقّ.

---

١. مصباح اليزدي، اخلاق در قرآن، ١٣٩١: ٣/٣٢٦.

٢. طه: ٤٤.

٣. ابن بابويه الصدوق، الأمالي، ١٣٧٦: ٢١.

٣. الحكمة

أهمُّ ركنٍ من أركان الإسلام في القول والفعل هو الحكمة والعقلانيّة. فمن وجهة نظر دين الإسلام التوحيديّ، لا يحقّ للإنسان أن يفعل شيئًا يراه العقل غير لائق به، أو أن يتفوّه بكلام يسخفه العقل أو يراه شاذًا؛ فإنّ اللسان هو الناطق باسم حواس الإنسان، فإذا تُرك هو و شأنه، سيميل إلى كشف مشاعره، والتي قد تنتج عن الغيظ والغضب أو عن الشهوة، ولكن إذا بلغ العقل كماله، فإنّ جميع الحواس يسيطر عليها العقل؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا تمّ العقل نقص الكلام**».[١]

ومن مقتضيات استخدام العقل والحكمة هو أن يلاحظ الشخص قبل الكلام جميع جوانب الموضوع، ثمّ يتحدث بناءً على المنطق والاستدلال؛ إذ يتكلّم الجهال أوّلًا دون روية وتأمّل، ثمّ يفكرون في عواقبه، قال الله تعالى في القرآن الكريم من لسان أهل جهنم تجاه الملائكة: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.[٢]

إنّ قوّة الفكر والكلام هبتان إلهيتان قد مُنحتا الإنسان؛ إذ يتفوق من خلالهما على المخلوقات الأخرى؛ لذلك يجب أن يكونا مقرونين ببعضهما البعض، لا سيّما عند تحكم العواطف والمشاعر على الإنسان، فمثلًا في حالة الغضب والحنق، يلزم أن يكون العقل مسيطرًا على اللسان؛ لكي لا ينطق بكلمة يتبعها الندم، وإلا يصبح اللسان مثل حيوان مفترس خطير؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**اللسان سبُع؛ إن خُلي عنه عقر**».[٣]

إنّ مهارات الاتّصال اللفظيّ تتجذّر في التفكير الصحيح، والقول الحسن يتبلور في ضوء الفكر. ومن الآثار الإيجابيّة للتفكير حفظ اللسان من الزلات والوقوع في الأخطاء. وأمّا الاستخدام العشوائي لأدوات الاتصال الجديدة مثل الفضاء الإلكتروني، فيمكن أن يؤدّي إلى هاوية السقوط.

---

١. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١٤١٤: ح٧١، ٤٨٠.

٢. الملك: ١٠.

٣. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١٤١٤: ح٦٠، ٤٧٩.

واليوم، فإنّ الفضاء الإلكتروني بإغلاقه باب التعقل والتفكير أمام البشر، قد أدّى بمعظم مخاطبيه إلى حالة الغفلة، لدرجة أنّ الكثير من الناس قد نسوا الله عزّ وجلّ؛ ومن هنا فإنّ استخدام الفضاء الإلكتروني يجب أن يخضع لشروط وقيود دينية؛ إذ قال الله تعالى في القرآن: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.[١]

فيجب على أولئك الذين يدخلون غرف الدردشة أو الشبكات الاجتماعية أن يدركوا أنّ أدنى خطأ وانزلاق في العالم الافتراضي له أصداء واسعة، وأنّ آثاره السلبيّة والمدمّرة أكبر بكثير مما هي عليه في الفضاء الحقيقيّ؛ لذلك فإنّ أولئك الذين ينشرون نصًّا دون روية وتفكير، أو يرسلون رسالة ذات محتوى سخيف، أو ينشرون كذبة، أو حتى ينتهكون خصوصية الآخرين أو يكشفون عن أسرارهم، فإمّا لا يدركون العواقب والأضرار التي لا يمكن إصلاحها، أو هم يعيشون في غفلة. قال أمير المؤمنين: «**الكلام في وثاقك ما لم تتكلّم به، فاذا تكلّمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك و وَرِقَك، فرُبّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة**».[٢]

التفكير قبل إرسال رسالة هو مبدأٌ مهمٌّ تجب مراعاته من قبل المستخدمين. ومن ناحية أخرى، يلعب العقل والعقلانية في محتوى الرسائل التي يتمّ تبادلها بين الناس دورًا مهمًّا في منع الأضرار السيبرانية.

٤. الصدق

تقوم الفطرة البشريّة على الصدق والبحث عن الحقّ، والصدق أعمّ من القول الصادق، وهو بشكلٍ عامٍّ التطابق مع الواقع، كما تؤكّد الآيات الإلهيّة على الصدق وقول الحقّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.[٣]

---

١. البقرة: ١٩٥.

٢. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١٤١٤: ح٣٨٧.

٣. التوبة: ١١٩.

أما عكس الصدق فهو الكذب والقول الباطل، ومن وجهة نظر القرآن الكريم فإنّ من يتسم بهذه الصفة المذمومة والرذيلة الأخلاقيّة لا يهديه الله: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.[١]

يعتبر الصدق وقول الحقّ أعلى خصائص الأخلاق الإنسانيّة، والتي تمّ التعبير عنها في التعاليم الإسلاميّة على أنّها من أهمّ عوامل سعادة الإنسان وفلاحه. قال أمير المؤمنين مولى المتقين وإمام الصادقين عليه السلام: «**الصادق على شفا مَنجاة وكرامة والكاذب على شفا مَهواة ومَهانة**».[٢]

صدق الحديث وعدم التحدث بقول يخالف الواقع هو المرتبة الأولى من الصدق والجزء الأكثر معروفًا منه. ولطالما شدّد ديننا على مراعاة مبدأ الصدق في العمل، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى نبي الإسلام الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾.[٣]

ولعل أهمّ ضرر تطور الفضاء السيبراني هو بث الأكاذيب؛ ولهذا أكّد الله في سورة الحجرات على ضرورة التحقق من صدق الخبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.[٤]

عملية الفوتوشوب (Photoshop) بمعنى التلاعب بالصور والنصوص، وبث الإشاعات ونشر الأكاذيب وهي لا تزال شائعة في الفضاء الإلكتروني. ونحن الآن نواجه ظاهرة خطيرة ومستجدة تسمّى «التزييف العميق» (Deepfake) في الفضاء السيبراني، وهو اسم تقنية برمجية تعتمد على الذكاء الاصطناعي تتلاعب بمحتوى

١. الزمر: ٣.

٢. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١٤١٤: خ٨٦، ١١٧.

٣. الحاقة: ٤٤ – ٤٦.

٤. الحجرات: ٦.

الصوت والفيديو وتغيرهما إلى الشكل المطلوب، وتنتج في النهاية محتوى مختلفًا تمامًا عن الحقيقة. إنّ مصطلح التزييف العميق (بالإنجليزية: Deepfake) عبارة مزيجة من كلمتين (Deep Learning) «التعلم العميق» و (Fake) أي: «التزوير والتزييف»، والتي تصف جيّدًا ماهية هذه التقنية. (https://www.dataio.ir، مصدر متخصصي علوم البيانات الإيرانيّة).

وبشكلٍ عامٍّ، فإنّ التزييف العميق هي تقانة تستخدم في تغيير الفيديو والصور والتي يمكنها تغيير وجه الأشخاص وأصواتهم، وحركات أيديهم وأجسادهم بأكثر الطرق الواقعيّة الممكنة. وباستخدام هذه التقانة يمكن إضافة كلمات مزيفة إلى خطاب معين، بحيث يشير صوت وحركة شفاه الشخص إلى أنّ هذه الكلمات منطوقة بلسانه، ولكن في الحقيقة هي كذبة، وكما يمكن باستخدام هذه التقنية تغيير وجه الأشخاص الموجودين في مقطع فيديو، بحيث يمكن إسناد الكلمات المنطوقة في الفيديو إلى شخص آخر بتغيير وجه المتحدث، كما يمكن من خلال التزييف العميق تكليم لوحة رسم، أو إسناد خطاب أو إجراء معين لشخص من خلال مُونتاج وجهه. ولقد تطورت هذه التكنولوجيا إلى حدّ لا يمكن التعرّف عليها بشكل كامل حتى من قبل محركات الذكاء الاصطناعي وهي واحدة من تحدّيات العصر الحالي.

تقوم برامج تحرير الصور مثل الفوتوشوب (Photoshop) بعمل مماثل لسنوات من خلال تزوير الصور، ولكن ما نواجهه الآن هو مشكلة مختلفة تمامًا وأكثر إثارة للقلق من تزوير صورة شخص ما في الفوتوشوب. في الواقع هذا هو الكذب العصري للجيل الجديد الذي أخذ في النشوء والتطور متزامنًا مع تطور الشبكات الاجتماعيّة. فلا يمكن للفضاء الإلكتروني - وخاصّة الشبكات الاجتماعية - الانتقال إلى جو يسوده الثقة إلّا من خلال التثقيف وإضفاء الطابع المؤسسي على مبدأ الصدق، لكن نظرًا لوجود الهويات المزيّفة والافتراضيّة، فإنّ المسافة في الوصول إلى هذه المرحلة تبدو

بعيدة، فيجب على المستخدمين في الوهلة الأولى التعرّف على دقّة وصحّة محتوى الرسائل المتبادلة.

٥. العفة

العفة تعني حرفيًّا التحصن والتقوى والنزاهة.[١] العفة من أسمى الفضائل الأخلاقية بين علماء الأخلاق. العفة هي من الملكات النفسانيّة التي تجعل شهوة الإنسان خاضعة للعدل وتحصر تصرّفاتها في الأوامر والنواهي للعقل.[٢] وإنّ للعفة في تعاليم القرآن الكريم مصاديق وأنواعًا مختلفة، منها: العفة في النظر،[٣] والعفة في الشهوة،[٤] والعفة في الكلام.[٥]

وتعتبر مراعاة العفة في الحوار والحديث من أقسام العفة، كما أنّ من مصاديق نقض العفة في الكلام هي التحدّث إلى الأجنبي من غير ضرورة، والإهانة، والسب، والكذب، والتفاخر، وكشف أسرار الناس، ونحو ذلك.

إنّ الله حييّ وكريم وصاحب عفة، فلا يستخدم الكلمات البذيئة في كلامه، بل يتحدث بالكناية في هذه الأمور. وإنّ رعاية الأدب واستخدام الكلام العفيف في القرآن ليست خاصة بالشؤون الزوجية فحسب، بل ورد في أمور أخرى، من قبيل التخلّي والبول والغائط باستخدام ألفاظ غير صريحة، والكلام المستعار أنسب بكثير من الكلام الصريح والمباشر، كما في قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾.[٦]

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١. دهخدا، لغتنامه، ١٣٧٧: ١٠/ ١٤٠٨٩.

٢. النراقي، جامع السعادات، ١٩٦٧: ١/ ١٠٨.

٣. النور: ٣١.

٤. النور: ٣٣.

٥. الأحزاب: ٣٢.

٦. البقرة: ٢٢٣.

فإن كلمة (الحرث) مصدر تعني الفلاحة، ونسبة النساء إلى المجتمع الإنسانيّ هي نسبة الحقل إلى الفلاح، فإذا لم تكن هناك نساء، فلن يستمر الجنس البشري وينقطع نسله.[١] في هذه الآية تجميلًا للخطاب نرى البيان الإلهيّ في القرآن الكريم في سياق عفة الكلام من خلال كلمة "الحرث"، بعده يذكر العلاقة الزوجية على سبيل الكناية.

وللفضاء الإلكتروني جوانب حقيقيّة أيضًا، لكن نظرًا إلى بعض الجهات، كعدم فيزيائيّة الاتصال فهو يعتبر فضاءً افتراضيًّا. وهذا يجعل المرء أقلّ تقيّدًا في الفضاء الإلكتروني لمراعاة العديد من الأمور التي يراعيها في الفضاء الحقيقيّ. فعلى سبيل المثال يتواصل العديد من الأشخاص في الفضاء الإلكترونيّ مع الجنس المخالف بسهولة وحريّة أكبر من التواصل في الفضاء الحقيقيّ، ومن ثمّ تتسرّب هذه الإباحيّة الإجماليّة في الفضاء الإلكترونيّ، إلى الفضاء الحقيقيّ تدريجيًّا.

ومع الأسف الشديد بسبب الظروف الخاصّة السائدة في الفضاء الإلكتروني، مثل البعد المكاني والهوية المجهولة، فإنّ مجموعة من المحادثات تأخذ جانبًا سلبيًّا بحجّة التعارف أو نية الزواج. فمن خلال تبادل الكلمات المثيرة للشهوة، يتحوّل جوّ الحوار إلى جوّ من الاستمتاع والتلذذ غير الشرعيين، كما يتحوّل فضاء التعارف والتحاور إلى فضاء من الشهوة ويصبح مرتعًا للشيطان، وبالتالي يؤدّي إلى الفساد الأخلاقيّ. وتبعًا لذلك تحدُث العديد من الانتهاكات بهذه الطريقة وتعاني العائلات معاناة لا يمكن إصلاحها. وهنا يقع بالضبط دور الدين ليحذّر وينذر من المحادثات الشهوانيّة والاستفزازيّة تحت أيّ ظرف من الظروف، سواء أكانت الأجواء حقيقيّة أم افتراضيّة.

وقد خاطب الله سبحانه في القرآن الكريم زوجات الرسولﷺ مؤكّدًا: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.[٢] ومع

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٣٧٤: ٢/ ٢١٢.

٢. الأحزاب: ٣٢.

أنّ الخطاب المباشر لهذه الآية هي زوجات الرسولﷺ إلا أنّ مفاد الآية يشمل جميع النساء وفي جميع الأعصار. ومضمون الآية هو أنّه لا إشكال للكلام المعروف والقول الحسن بنية التعارف وتقضية الحاجات اليوميّة، ولكن الإشكال الأساس يقع في استخدام الكلمات المثيرة للشهوة، وتسبّب في طمع من كان في قلبه مرض، وتحوّل الجو المعروف بالنزاهة إلى حالة من الشهوة والمجون، فيجب تجنّب تلكم الحالات. لذلك بالنسبة إلى الفضاء الإلكتروني، فإذا كان الكلام في قالب (قول معروف) فلا بأس، وأمّا إذا كان من مصاديق (قول مثير للهوس)، ففيه إشكال.

وقد ورد الذمّ من المعصومينﷺ للتكلّم مع غير المحارم، والمزاح معهم، وتحدث النساء مع الأجانب بإثارة ودلال، وحذروا من ذلك تحذيرًا، كما روي عن النبيﷺ قال: «**ومن فاكه امرأة لا يملكها (حبسه الله) بكل كلمة كلّمها في الدنيا ألفَ عام**».[١]

لقد ذكر القرآن إغراءات الشيطان بلفظ (خطوات): ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾،[٢] (الخطوة) في اللغة العربية تعني [مسافة] ما بين القدمين.[٣] ويبدو من مفهومها أنّ حركة الشيطان خطوة بخطوة وتدريجيّة. وأمّا التدرّج وعدم إدراك الضلال هو مسألة خطيرة يصعب مجابهتها. وهذا هو السبب في أنّ الأعراف الدينيّة والثقافيّة تتدهور ببطء من جيل إلى جيل، ولا يشعر الجيل السابق بهذا التغيير إلا بعدما تترسخ الانحرافات في الجيل اللاحق. والملاحظ في الفضاء الإلكترونيّ والشبكات الاجتماعيّة، أنّه قد زال قبح الممازحة والمحادثة مع أجنبية مثلًا، أو الحديث الماجن مع أجنبي، أو مشاهدة الأفلام الإباحية وكأنّها أصبحت أمرًا عاديًا. وفي الواقع وفّرت الشبكات الاجتماعيّة أرضية للأشخاص لإظهار بعض رغباتهم الداخليّة المكبوتة.

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٤٠٩: ٢٠/ ١٩٨.

٢. البقرة: ٢٠٨.

٣. راغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ١٣٧٤: ١/ ٦١٥.

يتعرّض مستخدم الفضاء الإلكترونيّ الحالي غالبًا ما لمفاسد كصفحات إباحيّة أو محادثات جنسية أو نكات جنسية أو على الأقل صور غير أخلاقيّة؛ لأنّ بعض المواقع والتطبيقات تعرض صورًا غير لائقة أمام أعين المستخدمين على صفحتها الرئيسة، والتي ستصادفها عيون المستخدم بمجرد دخوله الصفحة؛ لذلك قد يميل المستخدم إلى النظر إلى مثل هذا المحتوى في كلّ مرة. هذا التعرض في نفسه، حتى ولو لم يؤدِّ إلى استسلام المستخدم، يؤثّر على عفته بلا شك، وخاصّة أنّ تكرار التواجد في مثل هذه الظروف، من المحتمل جدًّا أن يجرّه إلى الاستسلام عن غير قصد لهذه الإغراءات. ومن جهة أخرى فإنّ وجود شبكات اجتماعيّة – مثل التلغرام (Telegram) والواتساب (WhatsApp) والانستقرام (Instagram) وغيرها – أدّت في السنوات الأخيرة إلى سهولة التواصل بشكل كبير. وهذا مع ما يحمل من المزايا لكن له العديد من السلبيات، بما في ذلك ما يحصل من علاقات حميمة لا شرعية في الفضاء المجازي أشبه بالفضاء الواقعيّ بسبب عدم الالتزام بالضوابط الأخلاقيّة والشرعيّة... غيرهما، إضافة إلى أنّه قد تمّت إزالة حساسيّة نسبيًّا لنشر الصور والمقاطع غير الأخلاقيّة في الفضاء الإلكترونيّ، ما يُشكّل أرضية لنزع الحجاب في هذا الفضاء وتحوّل إشاعة الفحشاء إلى أمرٍ عاديٍّ.

لقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه السلوكيات تحت عنوان (التبرّج) واعتبره من سمات النساء في عصر الجاهليّة، حيث كانت تخرج المرأة في الأماكن العامة بالمكياج وتلبس حليها وتعرض نفسها على الرجال وبالتالي تثيرهم وتسبّب المشاكل المختلفة، يقول المولى في القرآن الكريم: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾.[١]

فإنّ مراعاة العفة في الفضاء الإلكتروني لا تقتصر على الكلمات، بل هي ضروريّةٌ من جميع الجوانب، وأهمّ مرتكز وداعم لهذا الالتزام هو قوة الإيمان والتقوى الإلهيّة.

١. الأحزاب: ٣٣؛ الطريحي، مجمع البحرين، ١٣٧٥: ٢/ ٢٧٧.

٦. الاستدلال

يلزم علي المتحاورين العقلانيّة والمنطقيّة بالحديث المستدل والمبرهن، وهذه المسألة تناولتها الكتب السماوية مثل القرآن الكريم، فنقرأ فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾،[١] ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.[٢]

فقد دعا القرآن الكريم المؤمنين مرتين إلى ضوابط الحوار: الأولي: إلى النصح بالتقوى. والثانية: إلى القول السديد. والقول السديد من مادة (السدّ) يعني الكلام الحازم والمستقر وغير المضطرب والموافق للواقع.[٣] والقول السديد هو كلام يصد كسد منيع موجات الفساد والباطل.[٤]

فالإيمان يقتضي مراعاة التقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾،[٥] والتقوى تقتضي القول السديد: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾،[٦] والقول السديد لا يتعلق بالألفاظ فحسب، بل يجب أن يحتوي على مضمون محكم ومتقن.

ومن أبرز سمات القول السديد مرافقته بالدليل والبرهان؛ هذه الخاصية في الكلام تجذب قلوب الباحثين عن الحقيقة، بخلاف الجاحدين والملحدين؛ إذ تخلوا عن الفطرة السليمة، ورفضوا الكلام الحسن والقول السديد. إن أسمى نموذج للقول السديد هو كلام الله تبارك وتعالى؛ إذ بنى الله قوله على البرهان، فلم يطرح القرآن الكريم أيّ قضية عامّة أو خاصّة من دون عرض دليل، قال الله في كتابه الكريم: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[٧]

---

١. الأحزاب: ٧٠.

٢. النساء: ٩.

٣. الطريحي، فخر الدين محمد، مجمع البحرين: ٣/ ٦٦.

٤. مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ١٣٧٤: ١٧/ ٤٤٧ .

٥. الأحزاب: ٧٠.

٦. الأحزاب: ٧٠.

٧. النمل: ٦٤.

وكانت سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام في خطاباتهم ومناظراتهم العلميّة مع العلماء والمفكّرين من الطوائف غير التوحيدية والمعارضة، أنّهم استخدموا عنصر العقل والاستدلال والبرهان كثيرًا وأجبروا الأطراف الأخرى على الاستسلام والإيمان بالمعتقدات الحقّة. والقول السديد والمتقَن ينسجم مع الفطرة البشريّة ويتناغم مع العقل، فيقع موقع قبول الجميع.

ومن تحدّيات الفضاء السيبراني أنّه تتسلل عبره الشبهات والإهانات للمقدّسات إلى أذهان الجماهير إمّا بطريقة منظمة أو على سبيل الدعابة، وقد يستغرق العثور على الإجابة عنها وقتًا طويلًا، ويتطلب إجابات منطقيّة وقويّة، ونظرًا إلى أنّ التعرّف على الشبهات والقدرة على فهم المغالطات لا تتسني لجميع الناس، وغالبًا ما تكون الإجابات في الفضاء الإلكتروني غير كافية؛ لذلك يظلّ الأمر موضع شك، ويتبادل في الشبكات الافتراضيّة، هذه ضربة قاتلة لمعتقدات الناس في المجتمع وتضعيف لهويتهم الدينية.

فالجميع يتأثّرون سلبيًّا بالفضاء الافتراضيّ إلا إذا كان الشخص متعلمًا إعلاميًّا ومتحفّزًا للبحث عن الحقيقة، بمعنى أنّه لا يعتبر محتوى الشبكات الاجتماعية حقيقيًّا، ويبحث عن إجابة منطقيّة بروح البحث عن الحقيقة. فلا يخفى أنّ الفضاء الإلكتروني أصبح أداةً في أيدي أعداء الدين الذين يهدفون من خلال إلقاء الشبهات، نشر الإسلام الأمريكي، والإسلام غير العقلاني، والإسلام المتسامح والمتساهل في المعتقدات.

وردت في القرآن الكريم روايات عدّة في سياق تأثير هذه الأمور في إضعاف الروح المعنويّة للمسلمين وتغيير معتقداتهم، منها الآيات ٨٣ من سورة النساء و ٦٠ من سورة الأحزاب: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾،[1] ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ

١. النساء: ٨٣.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾.[١]

وعند فك رموز مثل هذه الطريقة المتّخذة من قبل الأعداء، يمكن القول إنّ الأعداء يدخلون عادة إلى الميدان عبر الحرب الناعمة من خلال اختلاق الشبهات وإثارة الشكوك، حيث ينطلي على المؤمنين البسطاء خداعهم، فيصطفون مع الأعداء في صف واحد من غير علم، ذلك من خلال نشر أكاذيبهم وتبادلها في الفضاء السيبراني. فيجب إسقاط مؤامرة الأعداء عن طريق دراسة المبادئ الإسلامية الأصيلة وتعزيز قوة التفكير والتحليل والنقاش لدي المستخدمين، وكذلك استخدام قواعد المعلومات والشبكات الاجتماعية التي تعمل ضدّ الشبهات في الفضاء السيبراني؛ لذا فإنّ التفكير المنطقي لمحتوى الرسالة من خلال الاعتماد على مصادر موثوقة ضروري للانتفاع بهذا الفضاء، والتأكد من صحّة المصادر هو الطريقة الوحيدة للثقة في محتوى الرسائل التي يتم تبادلها في الفضاء الافتراضي.

٧. الجمال في البيان

إنّ الخطوة الأولى لإنشاء التواصل الفعّال والإيجابيّ تتمثّل في اختيار الألفاظ الصحيحة والجذّابة والمؤثّرة لنقل المفهوم المطلوب. وأمّا الجمال فيلاحظ من حيث البنية الظاهريّة للفظ كما يلاحظ من حيث المحتوى.

وأمّا الكلام الجميل – فبالإضافة إلى مكانتها الخاصّة من حيث الخصائص اللفظيّة والأدبيّة – فيمكنه تصوير جمال الكون في ذهن المخاطب.

كما أن الله تبارك وتعالى قد أضفى مكانة خاصّة لجمال الكلام وحُسن القول، وقد طلب من عباده ببيان يحمل أسمى معاني الرحمة واللطف بألّا يقولوا إلّا حُسنًا: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾،[٢] وكذلك دعا أولياء الدين الناس كافّة لتجميل الخطاب؛

١. الأحزاب: ٦٠.

٢. الإسراء: ٥٣.

حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أجملوا في الخطاب تسمعوا جميل الجواب**».[١]

إنّ (نهج البلاغة) هو مصداق بارز ومثال واضح للكلام الجميل. وكلام المولى الإمام عليه السلام هو في أعلى مستوى من البلاغة، كما يعبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن إتقانه للكلام من خلال هذا التشبيه الجميل: «**وإنا لَأمراء الكلام وفينا تنشبّت عروقُه وعلينا تهدّلت غصونُه**».[٢]

ينبثق جمال الكلام من فصاحته وبلاغته. لقد ذكر الأدباء والخطباء العظماء (الفصاحة والبلاغة) باعتبارهما سمتين مهمتين وضرورتين للخطاب. يقول علماء (فن المعاني والبيان) في تعريف الفصاحة والبلاغة: "إنّ الفصاحة التي قد تقع وصفًا للكلمة وقد تقع وصفًا للكلام، فهي عبارة عن خُلوّ الكلام من حروف وألفاظ ثقيلة وغير مألوفة وغير موزونة، وكذلك خلوه من التعابير الركيكة والسخيفة والمتنافرة والغريبة وغير المتناغمة والمعقدة والمبهمة. أمّا البلاغة فهي تلاؤم الكلام مع مقتضى الحال، والانسجام التام مع الغرض الذي من أجله يقع الكلام".

وبمعنى آخر تعود الفصاحة إلى كيفيه الألفاظ، وأمّا البلاغة فتشير إلى كيفية المعنى والمحتوى. وبعبارة أخرى تنظر الفصاحة إلى الجوانب الشكليّة والظاهريّة للكلام، بينما تنظر البلاغة إلى الجوانب المعنويّة والمضمونية للكلام.[٣]

وفي بعض الأحيان يتمّ تبادل الرسائل في الفضاء الإلكتروني وعلى رغم قصرها قد يكون لها كبير الأثر وعميق التأثير في المخاطب. فمنها: جمل قصيرة للشخصيات الكبار والمفكرين، ومنها الأحاديث، والقصائد المتضمنة معاني عميقة ومؤثّرة. وقد تحتوي الجمل على أحداث ومشاعر يصعب سردها من دونها، فيمكن استخدام هذه

١. التميمي الآمدي، غرر الحكم و درر الكلم، ١٤١٠: ١٥٨، ح٩٠.

٢. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ١٤١٤: خ٢٣٣/ ٣٥٤.

٣. مكارم الشيرازي، پيام قرآن، ١٣٨٦: ٨/ ١١٤.

الجمل بمفردها أو مع الخلفيات المصورة كـ(صور مكتوبة) في الفضاء السيبراني. ولاستخدام (الصور المكتوبة) على الشبكات الاجتماعية العديد الكبير من المعجبين؛ حيث إنّهم يستخدمون الصور المكتوبة لملفهم الشخصي (بروفايل) (profile) أو (بُوست) (post) أو (سْتوري) (stroy). وإذا ما اختير صورة قرآنية ودينية للملف الشخصي يمكن أن تكون خطوة إيجابية في نشر الإسلام وإيقاظ القلوب النائمة للمنشغلين بالشبكات الاجتماعيّة، وقد نسوا بشكل من الأشكال الغرض من الحياة والتواصل الحقيقيّ مع الآخرين من حولهم. فعلى سبيل المثال يمكن أن تتضمن الصورة المكتوبة هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[١] بمثابة إنذار للأشخاص الذين لا يتجنبون النظر المحرّم في الفضاء الإلكتروني، ويلوثون أعينهم من خلال رؤية الصور أو الفيديوهات الخلاعية.

٨. الهدف

من منظور القرآن الكريم هناك هدف وغاية من وراء خلق عالم الوجود والكائنات،[٢] وبالتالي فهو يسير نحو الغاية بتناغم وانسجام، ألا وهو السلام والهدوء الأبدي، والذي أشير إليه في القرآن الكريم بـ(دار القرار) و(المستقَر).[٣] والإنسان أيضًا جزء من الكون وليس مستثنى من هذا القانون، فيجب أن تقوم حياته على الغرض الصحيح أيضًا.

ومن أهمّ جوانب حياة الإنسان ما يتعلّق بقوته الناطقة والتواصل الفعّال مع الآخرين. فكلّ شخص له خصائص فريدة. وبمعنى آخر يختلف الناس من حيث الآراء ووجهات النظر، فإذا قرّروا أن يتحدّثوا بعضهم مع بعض، فيجب عليهم أوّلًا تحديد

١. النور: ٣٠.

٢. هود: ٧.

٣. غافر: ٣٩.

الغرض من الحوار، وتوقع المشكلات والتحدّيات المحتملة، ومن ثمّ النظر في الحلول والاقتراحات المنطقيّة.

إنّ المتحدّث الفطن يلحظ الأهداف المعقولة لأيّ خطاب ثمّ يطلق الكلام، فأقلّ ثمرة لهذه الفطنة هو الابتعاد عن الشطط في الكلام، وقد يمكنه من التركيز على الغرض الأصليّ في الحوار وغيره، كما تمّ التأكيد عليه في بيانات المعصومين عليهم السلام؛ إذ جاء في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**عجِبتُ لمن يتكلم بما لا ينفعه في دنياه ولا يكتب له أجره في أخراه**».[١]

ويجب أن تكون المحادثة في الفضاء الإلكتروني هادفة أيضًا. تارة يستخدم الناس المحادثة كأداة للتعبير عن المشاعر والعواطف، وتارة لاكتساب المعرفة أو المعلومات، لكن في بعض الحالات، هم يتحدثون بلا هدف سواء للتفاخر أو مجرد ثرثرة. فهذا النوع من الكلام - بغض النظر عن الخسران المعنوي الذي يلحق بصاحبه - يؤدّي إلى ضياع ثروة العمر الثمينة.

الرسائل المتبادلة في الفضاء السيبراني لها أحد الأغراض التالية:

أوّلًا: الرسائل الأمريّة: تأمر هذه الأنواع من الرسائل مستلمَ الرسالة بما يجب فعله أو تركه.

ثانيًا: الرسائل التوعويّة: هذه الرسائل تحمل معلومات وحقائق ومعتقدات تنتقل عبرها إلى الجمهور المستهدف.

ثالثًا: الرسائل المُقنعة: الغرض من إرسال هذه الرسائل هو التأثير والتشجيع أو إقناع الجمهور بقبول شيء ما والتصرّف بناءً عليه.

رابعًا: رسائل الاتصال: الغرض الأساس من هذه الرسائل هو التواصل أو الحفاظ عليه وترسيخه مع الأفراد المعنيين في المجتمع.

---

١. التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ١٤١٠: ٤٦٥، ح٣٥.

وعليه، فإنّ محتوى الرسائل تُكوَّن من قبل الأشخاص حسب أهدافهم المعيّنة. وأمّا محتوى الرسالة فهي مجموعة من المفاهيم التي تنقل بيانًا إلى المخاطب من خلال الصور ومقاطع الفيديو والصوت والنصّ.

ومن آفات الفضاء السيبراني إساءة استخدام العدو لهذا الفضاء بأهداف محددة مسبقًا؛ فإنّ إنتاج المحتوى في الفضاء الإلكتروني بهدف الترويج لما يناهض الثقافة والدين، وهذا أحدث أساليب العدو في ضرب المجتمعات الإسلامية وقيمها؛ فإنّ الترويج للعلاقات غير الشرعية، والترويج للحياة العزوبيّة، والترويج للأزياء والملابس غير المحليّة، والترويج لاحتفاظ الحيوانات (داخل المنزل) وما إلى ذلك هي أمثلة على الترويج للحياة الغربية ومن ضمن برامج العدو، كما أنّ إلقاء الشبهات الدينية والعقديّة، والإهانة للمقدّسات، ونشر الإسلام الأمريكي، وإسلام التساهل والتسامح، والترويج للفرق الضالة، وزرع الفتن بين المسلمين، هي من بين برامج العدو التي اتّخذت شكل الحرب الناعمة. لكن الله وعد في القرآن الكريم: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.[1]

وبما أنّ لفظ (سبيل) نكرة في سياق النفي، فهو يفيد نوعًا من العمومية، ولا تقصد الآية من الكفار بُعد البيان والعقيدة فحسب، بل تريد من الكفار ما يشمل الناحية العسكريّة والساسيّة والثقافية والاقتصادية...، وأيًّا يكن فيريد القرآن الكريم منع سبيل أيّ تفوّق للكفار على المؤمنين؛[2] لذلك مع المعرفة الصحيحة والأساسية لهذا الفضاء وإنتاج محتوى مفيد، يمكن تحويل التهديدات إلى فرص واتّخاذ خطوات من خلال صدّ خطر تأثير العدو وتحسين مستوى الوعي والبصيرة العامة في هذا المجال.

١. النساء: ١٤١.

٢. مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ١٣٧٤: ٤/ ١٧٥.

ولا يخفى أنّ الشبكات الافتراضية هي مكان يتجول فيه الأعداء، وإنّ إحدى طرق تسلل العدو إلى ذلك تكمن في إنتاج محتوى يعتمد على الأخبار المزورة والمحتوى الكاذب وخلق الشكوك، ولسوء الحظ – نظرًا لانخفاض مستوى الوعي لدى العديد من مخاطبي هذه الشبكات وعدم وجود مساعي للتأكد من صحّة المحتوى – فإن له آثارًا ضارّة على الجمهور.

نتيجة البحث

تُظهر الدراسات والبحوث القرآنيّة أنّ القرآن الكريم كنصٍّ إرشاديٍّ يحتوي على برنامج مكتوب لمختلف مجالات الحياة البشريّة: أحد هذه المجالات هو الفضاء الإلكتروني، ومع أنّ القرآن الكريم لم يتحدّث مباشرة عن هذا الفضاء، إلّا أنّ المتطلبات التي يمكن استنتاجها من القرآن حول شروط التواصل في العالم الحقيقيّ يمكن تطبيقها في الفضاء الإلكتروني أيضًا، فيمكن الاستدلال على ما يلي باعتباره المتطلبات القرآنيّة للرسالة في الفضاء الإلكتروني على وجه الخصوص:

١. يرى القرآن الكريم الجمال والرفق والليونة في الكلام من خصائص الرسالة، ويوجّه المؤمنين إلى التكلّم بلطف مع الآخرين، فمن وجهة نظر القرآن الكريم لا يمكن للرسالة أن تكون مؤثّرة إلا إذا كان خلفها دعمًا فكريًّا وعقلانيًّا وأن تتّصف بالصدق.

٢. يؤكّد القرآن الكريم على مراعاة العفة كمبدأ مهمّ في العلاقات الاجتماعيّة، لا سيّما في الفضاء الافتراضيّ، وهي تعتبر عاملًا لرفع الضرر من فضاءات الاتصال، سواء حقيقيّة أم افتراضيّة.

٣. ينبغي أن تعتمد كلّ رسالة تُرسل أو تُستقبل في الفضاء الإلكتروني على العلم والبرهان، مما ينسجم مع أهداف الكمال الإنساني.

يلزم القول إنّ العديد من التحدّيات في الفضاء الإلكتروني اليوم ناتجة عن عدم الامتثال لهذه المتطلبات، وإذا تمّ تطبيق التعاليم القرآنيّة في هذا المجال، فإنّ الفضاء الإلكترونيّ سيصبح منصة لإرشاد الناس وهدايتهم، وهذا هو الهدف الذي قد قصده القرآن الكريم وقد نزل لتحقيقه.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر

١. القرآن الكريم، ترجمة محمد علي رضائي الإصفهاني ومجموعة من أساتذة جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة، نشر المصطفى، قم، الطبعة الثانية، ١٣٨٨ ش.

٢. ابن بابويه (الصدوق)، محمد بن علي، الأمالي، كتابجي، الطبعة السادسة، ١٣٧٦ ش.

٣. ـــــ، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٣ ق.

٤. إسكندري علي، رامين جابكي درزآباي، عوامل مؤثر در عناصر ارتباطي از ديدگاه قرآن كريم، معهد الدراسات الإنسانية والبحوث الثقافية، رقم ٢ ، الخريف والشتاء ١٣٩١ ش.

٥. التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، المصحح: سيد مهدي رجائي، دار الكتب الإسلامي، قم، ١٤١٠ ق.

٦. الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٩ ق.

٧. دهخدا، علي أكبر، لغتنامه دهخدا، طهران، جامعة طهران، الطبعة الثانية، ١٣٧٧ ش.

٨. راغب الإصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، دار المرتضوي للنشر، طهران، ١٣٧٤ ش.

٩. زورق، محمد حسن، ارتباطات وآگاهي، سروش، طهران، ١٣٨٨ ش.

١٠. سياح طاهري، محمد حسين وآخرون، حقيقت مجازي، المركز الوطني للفضاء الإلكتروني، طهران؛ بدون تاريخ.

١١. الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة، المصحح: صبحي صالح، الهجرة، قم، ١٤١٤ ق.

١٢. الطباطبائي، محمد حسين، ترجمة تفسير الميزان، المترجم: السيد محمد باقر الموسوي الهمداني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٧٤ ق.

١٣. الطبرسي، فضل بن حسن، ترجمة مجمع البيان في تفسير القرآن، المحقق والمترجم: رضا ستوده، دار فرهاني للنشر، طهران، ١٣٦٠ ش.

١٤. الطريحي، فخر الدين محمد، مجمع البحرين، دار مرتضوي للنشر، طهران، ١٣٧٥ ش.

١٥. الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، المصحح: علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧ ق.

١٦. مجتهدي نجفي، محمود، درك شبكات اجتماعي، طهران، ١٣٩٥ ش.

١٧. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، مرأة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المحقق: سيد هاشم رسولي محلاتي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٤ ق.
١٨. محسني، منوچهر، جامعه شناسي جامعه اطلاعاتي، نشر ديدار، طهران، ١٣٨٠ ش.
١٩. مصباح اليزدي، محمد تقي، اخلاق در قرآن، منشورات معهد الإمام الخميني للعلوم والبحوث، قم، ١٣٩١ ش.
٢٠. مكارم الشيرازي، ناصر، پيام قرآن، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٦ ش.
٢١. ـــــــــ ، تفسير نمونه، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٤ ش.
٢٢. النراقي، مهدي، جامع السعادات، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٦ م.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی